



إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للأباء الكهنة ديسمبر ٢٠١١م

مقتطفات من كتاب "إله الإلحاد المعاصر"

(كوستى بندلى)

مقدمة:

من ميزات الإلحاد المعاصر أنه لا يتعرض لوجود الله بقدر ما يتعرض لعلاقة الله بالإنسان فوجود الله بحد ذاته أمر لا يهمله كثيراً، لذلك يقول الملحد الألماني هنرى هين (فلنترك السماء للملائكة و العصفير...) ويقول آخر (أبانا الذى فى السموات ... ابق فيها).

ما يرفقه الإلحاد المعاصر هو أن يستقطب الله وجود الانسان، لأنه يعتقد أن الوجود الإنسانى يتلاشى ويزول إذا إستقطبه وجود آخر، أى أن الإنسان يضيع فى الله.

لذا فالإلحاد المعاصر هو رفض لله أكثر ما هو نفى لوجوده. إنه موقف إرادى أكثر مما هو عملية عقلية صرفة. يرى الإلحاد المعاصر أن الإنسان برفضه لله مرجعاً وقطباً لوجوده بحد نفسه لأنه يتحرر من الأوهام التى كانت تحول بينه وبين تحقيق نفسه على أكمل وجه.

كثيراً ما كان الإلحاد القديم يُتخذ وسيلة للإنفلات الخُلُقِى، أما الإلحاد المعاصر فإنه يتخذ وينصب نفسه محامياً عن القيم الأخلاقية ومدعياً أن الإيمان بالله إنما هو دوس لهذه القيم.

لم ترفض الماركسية الله إلا لتضفى صبغة الإلوهة على المادة والتاريخ فتجعل منهما صفتين يتغلبان على الإنسان فيحطان من كرامته ويسحقاها. أما الإلحاد السارترى فقد كان أكثر منطقية فأكد أن الإنسان (شهوة لا جدوى لها) و أن لا مبرر لوجوده. و أن كثره الوحيد هو الحرية. فراغ بغير معنى. لقد أوجد صنماً يتعبد له الانسان و هو الفراغ، صار أسيراً للفراغ. هكذا رفض هذان الإلحادان الله و إستعاضا عنه بأصنام تسحق الانسان.

الإلحاد المعاصر بنت منقسم على ذاته:

فيقابل الشطط الكامن فى كل من الإلحادين المعاصرين بالصواب الكامن فى الآخر.... وهكذا يمكن القول أن الماركسية أصابت عندما رفضت اللامعنى الذى تنادى به السارترية. وعندما تؤكد الماركسية بأن التاريخ والوجود لهما معنى ويستقطبها تحقيق مطلق لإنسانية الإنسان. فاللامعنى نفسه لا يحدد إلا بالنسبة لمعنى يستقطبنا ونقيس به الأشياء. ولكن السارترية أصابت عندما أوضحت أنه إن شئنا أن نذهب إلى أعماق الأمور... فالوجود الإنسانى لا معنى له بدون الله! وبالفعل فإن إنتصار الإنسانية التى تتغنى به الماركسية والتى تجعله قمة التاريخ وهدفه يفقد معناه طالما أن التاريخ نفسه لا يقدر أن يحرر الإنسان من العزلة والشر والموت.

هكذا الإنسان كائن ذو معنى يسير نحو المطلق (تلك هى حقيقة الماركسية) ولكنه عاجز عن أن يحقق هذا المعنى بنفسه (تلك هى حقيقة السارترية) وإذا ترجمنا ذلك بلغة المسيحية تقول أن الإنسان مخلوق على صورة الله ومدعو للتأله... ولكنه ليس الله. ولا يحقق ذاته إلا بالله.

وهنا سؤال: ما هو هذا الإله الذى رفضه كل من ماركس وسارتر؟

هكذا يتضح أن للإلحاد المعاصر وجهاً إيجابياً: فالإلحاد من حيث لا يدري يشهد لوحداية الله. فهو برفضه الأصنام يسعى ضمناً نحو المطلق الإلهي، وباحتجازه ضد كل خيانة للحقيقة والعدالة ترتكب بإسم الله، يشهد ضمناً لذلك الذي هو الحق والعدل المتزهان عن كل شائبة.

ويمكن القول أن الإلحاد المعاصر له دور في تنقية الإيمان، لأن الإيمان الزائف هو إلحاد عملي أنه يزج الله بإسم الله وهكذا فالإلحاد يقترب - على قدر أصالته - من الإيمان الحق. وبهذا المعنى كتب دستوفسكى المؤمن الذي سبر (اكتشف) أعماق الإلحاد "إن الإلحاد الكامل يقف في أعلى السلم على الدرجة قبل الأخيرة قبل الإيمان الكامل" لذلك يجب أن يكون موقفنا من الإلحاد المعاصر هو موقف إصغاء لتتعلم منه ما هي التصورات الصنمية التي تركناها، ولا تزال تتسرب إلى إيماننا. علينا أن نتفتح بإخلاص إلى نقده القاسي لعله يردنا إلى أصالة الإيمان.

ولكن الإيمان يعاتب الإلحاد: لأنه يخلط بين الإله الحق وأصنام الله: ولعل أهم هذه الأصنام هو صنم إكتفائية الإنسان التي تحول بينه وبين تسليم ذاته للمطلق الذي يستقطبه... تلك الإكتفائية التي هي أصل الأصنام كلها..... الإيمان يدعو الإلحاد إلى عدم التوقف في منتصف الطريق بل إلى تجاوز سلبيته بالإعتراف بهذا الإله الحق الذي صورته كامنة في أعماقهم.... مجمل ما يتهم به الإلحاد المعاصر الإيمان هو أنه تحقير للخليفة عامة والإنسان بنوع خاص... وصحيح أن المسيحيين نسوا أحياناً معنى ذلك الذي كانوا يعتقدون به ويعيشونه، فقد قدموا الديانة أحياناً وكأنها تقتصر على عبادة الله دون الإهتمام بما يخص الإنسان والتاريخ والكون.... وجاء الإلحاد يرد على ذلك بتأكيد الإنسان والتاريخ والكون دون الله!!

بالفعل إذا تفحصنا صفات ذلك الإله الذي ينكره الإلحاد المعاصر وجدناه إليها يذل الإنسان يقبده... يعميه... يسحقه.. يحكم عليه بالسلبية والجحود والخنوع وبطفولية أبدية. إنه إله لا يستمد عظمته إلا من ضعف الإنسان وجهله وذلك... أين هذا الإله من ذلك الذي كشف لنا ذاته في وجه يسوع المسيح فأظهر لنا محبة محيية- محررة- موقظة....

ولكن كيف أمكن للإلحاد المعاصر وقد ظهر في بيئة مسيحية أن يرى الله مشوهاً بهذا المقدار؟ والإجابة أنه لعل هذه الصورة البشعة قد وجدها الملحدون في أذهان المسيحيين. فنقلوها عنهم لكي يرفضوها... وبعبارة أخرى... إننا نحن معشر المسيحيين أوجدنا إلى حد بعيد هذا الصنم الذي يرفضه الملحدون مُسمين إياه الله كما نُسميه نحن.... والحق يقال أن الإله الذي يعبده المسيحيون بعيد في كثير من الأحيان عن الله يسوع المسيح!!

ولكن ما هو أصل هذا الصنم الذي أضل تديننا مكان الإله الحقيقي؟ .. ذلك يرجع إلى سببين:

الأول: هو تصورات الإنسان وأهوائه، فالإنسان قد يؤله تصوراته بدل أن يتجاوزها بإستمرار كما يدعوه الكتاب والتقليد المسيحي كله...

والثاني: إن الإنسان معرض أن يكون عن الله صورة تُرضى أهوائه وتبررها. فينحدر بالله إلى مستوى أنانيته ومطامعه ومخاوفه عوض أن يتجاوز أهوائه ويصعدها إلى خط الله. إن ما يكرهه الله القدوس قد ارتُكب في التاريخ بإسم الله. إن القتل والتعذيب وإستغلال الإنسان للإنسان والعنصرية والقومية الصنمية، كل ذلك كما هو معلوم ارتُكب بإسم الله. ليس الإسخريوطى فرداً فحسب إنما هو جحفل، فالخيانة بقبلة هي النصيب الدائم "للحق الوديع المصلوب" هذا ما يفسر إلى حد بعيد الإسمئزاز الذي يثيره اسم الله في نفوس أفضل الملحدين وأبرهم.

هذين الصنمين: صنم الإله الذى يلغى الإنسان وصنم الإنسان الذى يلغى الله مضمياً صفة الإطلاق على إكتفائيته تجاه هذين التجريدين الرهيبين: الله دون الإنسان والإنسان دون الله. هذان التجريدان اللذان يمزقان رجاء الإنسانية فى الصميم. نحن نتمسك بديانة الإله المتجسد الذى شاء أن يربط مصيره نهائياً بالإنسان. فالله يتأنس من أجل الإنسان بدافع حبه للإنسان. بقدر ما يتقوى الإنسان ويصير شريكاً للطبيعة الإلهية. (يُتبع)

الباب الثاني : الطقس القبطي القديم لصلوات رفع بخور باكر وعشية

من القرن العاشر حتى القرن الرابع عشر.

الفصل الثالث الطقس القبطي القديم لصلوات رفع بخور عشية عند

إبن كبر

كما سبق أن ذكرتُ فى الفصل الثاني مباشرة، سأعتمدُ فيم يلي من شرح لصلوات رفع بخور عشية، علي ما ورد فى الباب السادس عشر، لمخطوطين لكتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" لإبن كبر - وهما: "مخطوط باريس"، ومخطوط أوبسالا" و "مخطوط فينا".

١. مزامير صلاة الغروب فى "مخطوط أوبسالا"، تحدتُ عن مزامير صلاة الغروب فى عشية أيام الأحاد وهى المزامير المختصة بطقس "إيقاد سراج المساء". و برغم ضياع طقس إيقاد سراج المساء إلا أنه تبقى لنا منه ترتيب المزمور (١١٦) فى تسبحة عشية الأحاد، حتى يومنا هذا.

٢. الهوس الرابع : "مخطوط أوبسالا" يوضّح لنا (البندان ٢٠٣) أنّ ترتيب الهوس الرابع فى تسبحة عشية صار عنصر ليتورجي مستقر.

٣. إحصائية وثيوطوكية اليوم : ترتيب الإحصائية والثيوطوكية كان كاملاً فى ليالي الأحاد والأعياد. ولكن فى ليالي الأيام العاديه، تُقال الثمانية أرباع الأخيرة من

الإحصائية فقط وغالباً لا تُقال الثيوطوكية، ولكن يقال اللبس الذى يعقب الثيوطوكية ويُقرأ الدفنار فى أعياد الكنيسة المختلفة. (بندا ٦٠٧).

٤. ختام الثيوطوكيات : أفادتنا مقارنة المخطوطات، إنّ ما نعرفه اليوم باسم "ختام الثيوطوكيات" لم يكن ختاماً للثيوطوكيات حتى القرن الخامس عشر الميلادي علي أقل تقدير.

٥. لحن "هلليلويا" : يُقال لحن "هلليلويا" فى ليلة و باكر أيام الأحاد وليالي الأعياد فى ختام تسبحة عشية وقبل رفع البخور .

٦. أوشية الرّاقدين فى رفع بخور عشية.

٧. قوانين ختام الصلوات :

• أولاً: القوانين التى تُقال علي مدار الإِسبوع: وهى ثمانية قوانين، حيث يختص يوم الأحد بقانونين منها.

• ثانياً: القوانين المختصة بالسيدة العذراء: وهى ثلاثة قوانين، تُقال فى شهر كيهك، وفى صلوات الإكليل، وفى سائر التذكارات الكنسية للسيدة العذراء.

• ثالثاً: القوانين المختصة بالأعياد السيدية: وهى ثمانية قوانين تخدم أعياد البشارة، الميلاد، الغطاس، الشّعانين، القيامة (له قانونان)، الصّعود، والعنصرة.

• رابعاً: القوانين المختصة بالصليب المقدس: وهى أربعة قوانين تُقال فى عيدي الصليب.

• خامساً: القوانين المختصة بالشهداء والقديسين: وهى ثلاثة قوانين، إثنان للشهداء، وواحد للقديسين.

• سادساً: القوانين المختصة بالصوم المقدس الكبير: وهى ثمانية قوانين.

ملحوظة: الكتاب يحتوي على نصوص جميع هذه القوانين لمن يريد الرجوع إليها فى صفحات (٢٩٤-٣١٠).